براثا

الدير الذي أصبح من أهم مساجد بغداد ومعالمها

تحقيق - وليد عبد الأمير علوان
تصوير- خالد وليد التميمي

لا تكاد تخلو منطقة من مناطق العراق من أثر إسلامي أو ضريح مقدس أو مزار لولي أو دير قديم أو مسجد مشهور، ولا غرابة في ذلك في بلد كان مهداً للحضارات الإنسانية ومهبطاً للأنبياء ومركزاً من مراكز الخلافة الإسلامية. وكانت بغداد حاضرة الخلافة العباسية ومركز الإشعاع الثقافي. وتعتبر منطقة "براثا" واحدة من أقدم معالم بغداد في تاريخ الإسلام، إذ تشير المرويات التاريخية بأنها قد أسست قبل تأسيس مدينة بغداد (دار السلام) بنحو 108 سنة، إذ كانت ديراً نصرانياً. تقع هذه المنطقة في منتصف المسافة بين مركز بغداد ومدينة الكاظمية والتي لا تبعد عن المركز سوى مسافة 10 كم.

في داخل المسجد. Inside the mosque.

الصخرة ذات الأسرار. The stone with a mystery.

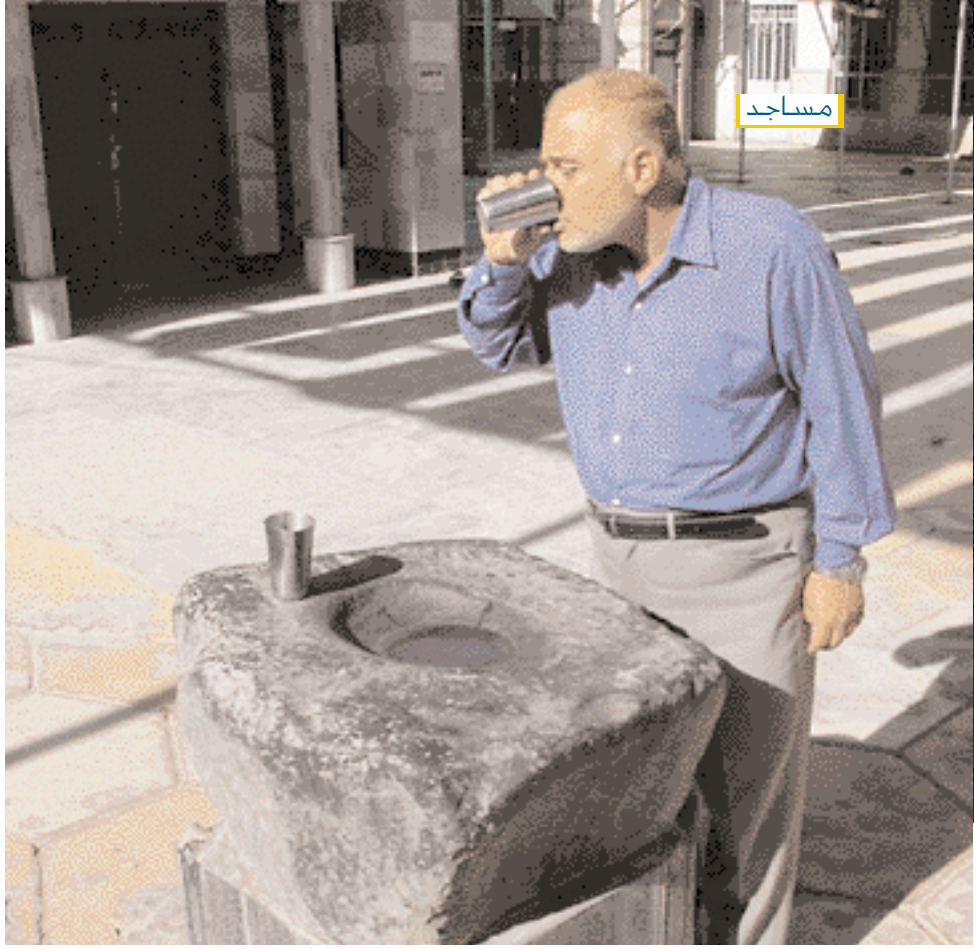

مراسلنا يشرب من بئر الإمام علي (ع).

Our correspondent having a drink from the well of Imam Ali.

المسجد يشهد تطورات كبيرة.

The mosque is being extensively renovated.

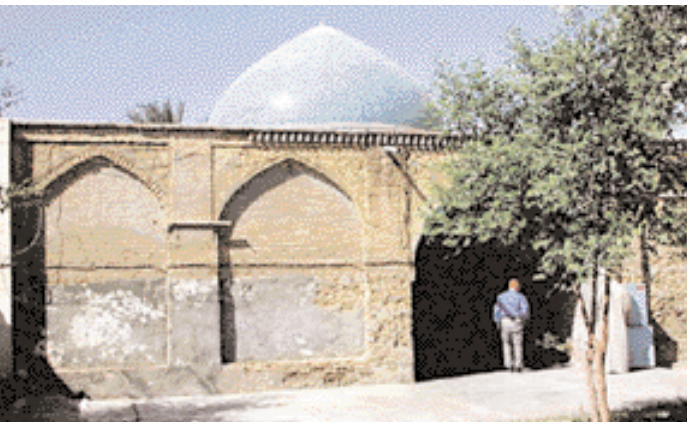

مرقد يوشع (ع).

The shrine of Jushau.

وبراثا هو اسم باني الدير ومعنى براثا بالسريانية "ابن العجائب" وفي اللغة العربية تعني "الأرض الرخوة الحمراء". وقيل أنه موقع شريف زاره عدد من الأنبياء وصلوا فيه، ومنهم إبراهيم الخليل والنبي دانيال "ذو الكفل" المدفون في مدينة الكفل العراقية جنوب بابل، أو على مسافة 160 كم جنوب بغداد.

براثا في العهد الإسلامي

أما في العهد الإسلامي فقد صلى فيه الخليفة الراشد الإمام علي (رض)، حيث ورد في المصادر أنه عندما عاد من قتال الخوارج في معركة النهروان اجتاز بغداد فأتى موضعا من أرضها، فقال ما هذه الأرض؟ قيل أرض بحرا، فقال أرض سباخ جنّبوا وبنوا. فلما أتى بمنة السواد فإذا هو براهب في صومعة فقال له: يا راهب أأنزل ها هنا؟ فقال له الراهب: لا تنزل هذه الأرض بجيشك، فقال: ولم؟ قال: لأنه لا ينزلها إلا نبي أو وصي نبي بجيشه يقاتل في سبيل اللّه عز وجل، فجرت محاورة بينهما، وتعرف فيها الراهب على شخص الخليفة علي (رض)، فنزل الراهب إليه وقال أشهد أن لا إله إلا اللّه وأشهد أن محمداً رسول اللّه، وأني واللّه قد وجدت في الإنجيل نعتك، ثم طلب منه النزول من الصومعه وتحويل هذا الدير الى مسجد فبنى الراهب الدير مسجداً، ولحق بأمير المؤمنين إلى الكوفه ولم يزل بها مقيماً حتى استشهد الإمام علي سنة 40 هـ فعاد الراهب، واسمه حباب إلى مسجد براثا. وشهد المسجد عدة عمليات تطوير خلال حكم الدولة العباسية خصوصاً في زمن أمير الأمراء في بغداد "بجكم الماكاني" عندما أمر بإعادة بناء المسجد وقام بتوسيعه وأحكم بناءه وأحاطه بسباج منقوش وكتب في صدره اسم الخليفة الراضي باللّه.

تضم منطقة براثا في الوقت الحاضر مسجداً كبيراً في أعلاه منارتان بنيتا سنة 1375هـ مع مكتبة قديمة، وخارج حرم الصلاة هناك صحن واسع. وتجري الآن حملة واسعة لتوسيع وتطوير المسجد، وهي تشمل أعمال الإضافة والبناء والصيانة وأعمال النجارية وصبغ الجدران وبكلفة 1,139,550 دولار.

وخلال تجوالك داخل مسجد براثا ترى في كل ركن من أركانه أثراً تاريخياً. ولعل من أهم المعالم الأثرية الموجودة فيه:

الحجارة البيضاء أو حجر براثا

وهي قطعة من حجارة قديمة تحمل نقوشاً جميلة ومحفورة تعود إلى ما قبل الإسلام تؤكد قدم المعبد وتوثق المنقول والمؤثور عن تاريخ جامع براثا. وقد نقرت في جانبي النقش بالخط البارز أسماء النبي محمد (ص) وابنته فاطمة الزهراء (رض) والأئمة الاثني عشر (رض) لدى المسلمين من الشيعة. وهذا الحجر القديم النفيس من الآثار الباقية عن القرون الماضية من بقايا المعبد القديم والمسجد الجامع العتيق، وهو من الذخائر النفائس ومن الشواهد والآثار المهمة.

بئر علي بن أبي طالب (رض)

تذكر المرويات التاريخية بأن الإمام علي (ع) سأل الراهب حباب في براثا من أين تشرب يا حباب؟ فقال يا أمير المؤمنين من دجلة ها هنا، فقال: لمَ لا تحفر ها هنا عيناً أو بئراً؟ فقال له: يا أمير المؤمنين كلما حفرت بئراً وجدنا مياهه مالحة وغير عذبة، فقال له الإمام علي: أحفر هاهنا بئراً، فحفر فخرجت عليهم صخرة لم يستطيعوا قلعها، فقلعها أمير المؤمنين فانفلقت عين ماء، ثم قال اكشفوا هاهنا على سبعة عشر ذراعاً (الذراع يساوي 79,5سم) فكشفت فإذا صخرة بيضاء، فنصب أمير المؤمنين الصخرة وصلى عليها وأقام هنا أربعة أيام، والبئر محاطة اليوم بقبة زجاجية للحفاظ عليها، وتم إيصال الماء إلى الخارج بواسطة أنبوب حيث يتمكن الزوار من شرب الماء والتوضؤ، والماء ذات مذاق عذب.

الحجارة المُنطّقة

وهي حجارة سوداء تقع أمام البئر مباشرةً وعادةً ما يتجمع الكثير من الزوار حولها وتسمى بالحجارة السوداء أو المُنطّقة، فيها نقرة من بقايا أحجار المنطقة القديمة والمنطقة هي جامع براثا القديم والناس يعتقدون بهذا الحجر من القديم. يُصب الماء في النقرة ويسقى الطفل لكي ينطق ويُحلل عقدة لسانه وكثيراً ما تسمع النسوة وهن يقلن لأطفالهن قولوا "يا مُنطقة نطّقيني" ويكررون هذا عدة مرات.

وبالإضافة إلى مسجدها الشهير، تضم منطقة براثا قبر نبي قيل أنه للنبي يوشع "عليه السلام" ويسمى أيضاً "هوشع" وهو فتى موسى (ع)، بالإضافة إلى مقبرة اعتاد البغداديون دفن الموتى من الأطفال فيها إلا أنها أصبحت مدفناً على مر الزمن وبصورة عشوائية وإن حملة التوسيع الحالية سوف تطال جزءا من المقبرة. إن هذا المكان قد استعاد الآن مكانته حيث تقام فيه حاليا صلاة الجمعة ويؤمه يومياً عدد كبير من الزوار سواء من أبناء الأقطار المجاورة أو من العراقيين للتبرك وسيبقى محتفظاً بقدسيته سواء للمسلمين أو أتباع الديانات السماوية الأخرى، وهو خير دليل على التقاء الحضارات واتصال بعضها بالبعض الآخر لا تصادمها. ■